وعن مصر.» قاطعه المتظاهرون وتحدث بعض منهم وطالبوه بعقد مجلس الوزراء فوعدهم بذلك. ثم توجهنا إلى عابدين.

داخل المشهد كطفل في بيت ـ بيته ـ لا يحيط بكل ما يجري حوله، يتعرف على أشياء ولا يتعرف على غيرها. بعدها، بأيام أو شهور أو سنوات سأتعرف على الرجل الذي خطب فينا عبر مكبر الصوت، وأتعرف على من تحدثوا، معني ما قالوه والمجموعات السياسية التي يمثلونها؛ تكتسب الوجوه والأسماء والمواقف دلالات لم تكن لها. خذ مثلا هذا الشاب الذي رأيته محمولا على الأعناق في المظاهرة القادمة من كوبري قصر النيل، مظاهرة جامعة فؤاد، أدهشني إقدامه على الاشتراك في المظاهرة في زيه العسكري، كان ملازما في الجيش، في عمر طلاب الجامعة الذين حملوه على أكتافهم. قال الوزير الذي حدثنا عبر مكبر الصوت من شرفة المجلس إن النحاس باشا وعد ببحث مطالبنا في أول اجتماع لمجلس الوزراء، وإن موعد الاجتماع غدا الأحد، قاطعه الضابط الشاب: «فليكن الاجتماع اليوم، وليكن اجتماعا غير عادي... وإلا فمتى يكون الاجتماع غير عادي؟! سنعتصم هنا حتى يجتمع المجلس.» اقتربت من الشاب وحرصت أن أظل قريبا منه. ولما تحركت المظاهرة في اتجاه عابدين سرت خلفه.

نقصد قصر الملك. لا أرى أول المظاهرة ولا آخرها، ولا أرصفة الشوارع، أهتف بصوت عال، لا أسمع صوتي، أمشي في الصوت المدوِّي، لا أكترث بتتبع ترديده الصاعد أو دوائره المتسعة، لا أتطلع إلى السماء فوقنا أو العمائر من حولنا. أمشي داخل الصوت. لا ترى المظاهرة حين تكون فيها، لا تشعر بالهيبة (أو الفزع) التي قد يشعر بها من يراقبها من خارجها. كنت صبيا لم أتم الخامسة عشرة بعد. أمامي وخلفي وعن يميني ويساري بشر مثلي تجمعهم وتحركهم قوة بسيطة (أو مركبة، لا أدري) يصعب عليّ توصيفها بدقة، رغم أنني أعرف أنها كبيرة وعاتية وواضحة كموجة أو دوامة أو نيران تستغرقنا معا في نفس اللحظة فتسري في العصب استجابة واحدة.